الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط! سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا.. لقد صبرنا على أمر عظيم! فبينا هم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشى حتى استلم الركن.. ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما مر بهم غَمَزُوه ببعض القول، فعُرف ذلك فى وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فلما مر بهم الثانية غمزُوه بمثلها، فعرف ذلك فى وجه رسول الله ﷺ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فوقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح!» (قال): فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع. حتى إن أشدهم فيه وصَاةً قبل ذلك، ليرفَؤه[1] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً.. (قال): فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه! فبيناهم، فى ذلك طلع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به

(١) يرفؤه: يتملقه ويلاطفه.